

## حلوة يا بنت بلدى

لماذا تنتحصر الجميلات؟! ما الذى دفع مارلين مونرو، وناتالى دور، ورومى شنيدر لإنهاء حياتهن على رغم

الصبا والجمال والصيت والمال؟

هل نقول فتش عن الرجل كما يقولون في فرنسا عن الرجال الذين يواجهون الصعاب فتش عن المرأة؟ وهل يمكن أن يكون انتحار داليدا «أم كلثوم باريس» وبنت شبرا مصر. ليس خروجا عن القاعدة.

انتحرت داليدا بجرعة حبوب منومة بعد أن تركت رسالة تحمل «سامحونى الحياة لم تعد تحتمل»، ودفنت في مقبرة مون مارتا بباريس اسمها يولاندا كريستينا جيجليوتى. ولدت فى شارع خمارويه بشبرا مصر يوم ١٧ يناير ١٩٣٣ من أبوين إيطاليين مولودين فى مصر وقد جاءها أجدادها طلبا للرزق كما كان حال كثير من الأجانب فى بداية القرن العشرين وقد هاجروا من بلادهم بدافع الفقر، وللنجاة من الحروب هناك وكانت مصر بلدا آمنة مزدهرة اقتصاديا.

تعلمت يولاندا العزف وتلقت دروسا فى الغناء وإن كان حلمها أن تكون ممثلة، خاصة أنها علمت من أهلها أنه كانت لديها قريبة (عمة) ممثلة إيطالية هى إيلينور دوس المتوفية عام ١٩٢٤، وكانت يولاندا تشعر بأنها تمتلك موهبة التمثيل بالوراثة من عمتها.

عاشت يولاندا طفولة طبيعية بين أسرتهما، تذهب إلى المدرسة والكنيسة ولما وصلت لسن المراهقة كان والدها الحاد الطباع يمنعها من الخروج مع أصدقائها خاصة أنه تأثر نفسيا بدخوله السجن لفترة لأنه إيطالى يعنى فى المعسكر الآخر ضد الإنجليز المحتلين لمصر أثناء الحرب العالمية الثانية.

### داليدا



لم يخدم يولاندا وسائل التحايل للهروب من رقابة والدها فكانت تخرج من البيت بحجة الذهاب إلى الكنيسة لكنها تتجه إلى المكان الذي فيه وعدت فتاها الإيطالي الأصل أرماندو حبها الأول والتي كانت تمسك بيده حتى أثناء القداس.

فى الكنيسة كانت يولاندا تختار مكانا بعيدا عن الناس لتتجنب الحرج الذى كانت تشعر به من عينيها «المحولة» وقد أجرت ثلاث عمليات جراحية لعلاجها فيما بعد. كان والدها يحلم لابنته بالزوج المناسب. ورضخت لمطالبه وقبل أن يتم المراد، توفى هو على أثر جلطة فى الدماغ، فرجعت عن طريق الزواج والستر وتطلعت لحياة أخرى لكن ظروف المعيشة لم ترحمها فتلقت دروسا فى الكتابة على الآلة الكاتبة بناء على توجيهات والدتها، وعملت سكرتيرة فى شركة أدوية، لكن الحلم بالنجومية لم يتخل عنها ولم يفارقها، ساعدها على ذلك فوزها فى مسابقة ملكة جمال «مس أوندينا» عام ١٩٥١ مما دفعها لتحلم بأن تكون ملكة جمال مصر بعد ذلك لولا أن والدتها سوف تمنعها لأنها سوف ترفض أن تظهر ابنتها بالمايوه.

عادت يولاندا للكذب على أهلها وادعت زهابها لزيارة صديقة واتجهت إلى حمام السباحة المقام فيه مسابقة ملكة جمال مصر. وفازت يولاندا باللقب ١٩٥٤ وبدأت أبواب الشهرة تنفتح.

كانت جائزة الفوز «زوج أحذية ذهبية» لم تفرح الأم بجائزة ابنتها، ساءها ذلك رؤيتها بالمايوه على الصفحة الأولى للصحف الصادرة فى اليوم التالى. لم تفكر ملكة جمال مصر ١٩٥٤ أن تترك العمل فى شركة الأدوية لكن اللقب أتاح لها فرصة التواجد فى استوديوهات السينما.

واقتربت السينما من يولاندا فاختارت لنفسها اسم دليله نظرا للشبه بينها وبين هيدى لامار بطلة فيلم «دليله وشمشون»

شاركت دليله مع شادية الظهور فى أغنية «على آخر سرعة يا عربية» فى فيلم «الظلم حرام» عام ١٩٤٨.

وأسند المخرج نيازى مصطفى لها ١٩٥٤ دور ممرضة فى فيلم «سيجارة وكأس» مع سامية جمال ونبيل الألفى وسراج منير ومحمد رضا وحسين عبد النبى وحسنى كلود وميرفت كاظم.

وكانت دليhle قد ظهرت فى فىلم «عزل البنات» ١٩٤٩ ضمن شلة صديقات لىلى مراد ىركبن الخىل وىتراقصن على أغانىها.

وجاء إلى مصر فريق أمريكى لتصوىر فىلم بعنوان «brother Joseph and his» بطولة كولن جوان. واحتاج المخرج دوبلیرا للبطلة فاختر دلیله لىسمها ولشعرها الكثیف القریب الشبه من شعر جوان. ولنلابسها أیضا. الفیلم كان ىجرى تصویره فى مدینة الأقصر وهناك وجدت نفسها أمام ممثل صغیر جاء بىبحث مثلها عن الشهرة. إنه عمر الشریف الذى تعلق بها لكنها عاملته ببرود شدید.

عرف المطرب الملحن محمد فوزى دالیدا قبل أن یتعرف إلیهما الآخرون فى الحیاة الفنیة. فقد لحن لشقیقها برونو أغنیات من لون الفرانكو أراب مثل «یا مصطفى یا مصطفى» التى غناها فىما بعد مطرب الفرانكو أراب بوب عزام ولأقت نجاحا كبیرا وقد أشرك فوزى، دالیدا فى أدوار صغیرة فى الأفلام التى أنتجها فى هذه الفترة ومنها سىجارة وكأس الذى عرض ١٩٥٤. ثم تحول برون من الغناء لىعمل مدیرا لأعمال أخته (النجمة العالمیة فى باریس فىما بعد) بعد أن استعار اسم شقیقهما الأكبر أورلاندو الذى كان یتقصد دور الأب الحمش فى حیااتها فلما كبر فى السن خلد إلى الهدوء فى سویسرا حیث أقام بصفة دائمة هناك.

قررت دلیلة السفر لفرنسا ببحثا عن الشهرة على رغم اعتراض والدتها وسافرت یوم ٢٤ ینایر ١٩٥٤. فى البداية داهمها شعور بالقلق والوحدة خاصة أن فصل الشتاء قد لّون شوارع عاصمة النور باللون الأبيض الجلیدى. والریاح تعصف بها من هنا إلى هناك مما أشعرها بالحاجة إلى شمس مصر، لكن من أراد العلا تحمل البرد والریاح البارسیة. نزلت دلیلة فى فندق بسیط قریب من الشارع التجارى الشهیر «الشانزلیزیه».

وفى الیوم التالى كان لديها موعد مع هنرى فیدال الرجل الذى وعدھا بالمساعدة لكنها اكتشفت أن علاقته كانت بمنتجین یعملون فى مجال الأفلام الضعیفة فقررت أن تصرف النظر عن مساعداته وتعتمد على نفسها. فقدمت طلبات إلى وكالات مختلفة مهتمة بالبحث عن مواهب فى مجال التمثیل، وعادة ما یتقدم إلى مثل هذه الوكالات طوابیر طويلة من أصحاب المواهب والمدعین.

لم تعترف دليلة بالهزيمة فى مدينة النور ولم تستجب لنداء أمها بالعودة إلى مصر. لكن لما خلصت فلوسها كانت مضطرة لتنفيذ طلب أمها. لولا الصدفة التى دائما ما تصنع المعجزات وتحقق الآمال.

لمح رولاند برجر دليله وأعجب بقوامها وشعرها ورأى فى هذه الإمكانيات مسوغات تعيين فى الحياة الغنية تقدم إليها قائلا: نحب نتعرف. وكان مدربا للصوت وتطورت علاقتهما. حاول إقناعها بأن تغنى بدلا من التمثيل. فقد سمع تميزا فى صوتها. ورأى أن شهرتها يمكن أن تأتى من غنائها.. ورفضت.. وألح.. فوافقت. فواظب على إعطائها دروسا فى الموسيقى وتدريبات فى تربية الصوت وقد تحمل كثيرا من عصبيتها الموروثة عن أبيها، حتى أصبحت لائقة فى الغناء ثم بدأت بالملاهى فى باريس.

سكنت دليلة مع صديقة لها جينا جوردل فى عمارة كان يسكن فيها بالصدفة الآن ديلون الذى أصبح فيما بعد نجما عالميا فى التمثيل السينمائى ثم منتجا أيضا. لم يكن يربطها بديلون فى البداية إلا ما يدور عادة بين الجيران «هاى..هاى..باى..باى..» ثم أصبحت صديقتين. كل منهما يشجع الآخر ولما يفشل تواسيه ولما تدهور الحال بالنجم الفرنسى-اقتصاديا- وضعت ثلاثتها تحت أمره بالكرم المصرى.

رأى صاحب الكباريه الباريسى الذى تغنى دليلة فيه وقرر أن يضعها ضمن البرنامج الثابت لتغنى أمام الجمهور كل ليلة. ونفس اليوم كان موعدا لديلون مع اختيار للهواة يعقده مخرج كبير. ونجح واختاره المخرج لدور فى الفيلم الجديد من بين مائة هاو أجرى عليهم الاختبار. فى أول حفل لدليلة فى الملهى غنت «لديك نجمة بين يديك انظر إليها.. ياله من وجود» ولم يصفق من الحاضرين إلا عدد قليل فقد شغلوا عن غنائها بقراءة «المينيو».

فى ليلة ما بينما تغنى التقت فريد صديق المخرج السينمائى الذى اكتشفها فى الأقصر «قال لها إن اسم دليله غريب على الأذن الفرنسية، بل هو عدوانى، ويجب تغييره؛ ترددت دليلة فهى تغنى بهذا الاسم منذ بدايتها الاحتراف. فكرت فى استخدام اسمها الأصلى يولاند مع خلطه باسم دليله فكان الناتج.. داليدا.

وفى ليلة من ليالى الملهى اكتشفت أن برونو مدير أولومبيا موجود فى الصالة أشهر قاعة للموسيقى فى باريس. جاء يبحث عن مواهب فى الغناء، غنت بشكل رائع لتلفت أسماعه، وأعجب بصوتها، وأخرج ورقة وكتب عليها اسمها.

ارتبطت داليدا بعقد محكم مع برونو فكان يعد لها العقود مع شركة «انترناشيونال شو» التي كانت تنتج أعمالها ويرتب لها المواعيد في العمل واللقاءات الإعلامية ويشرف على تسجيلاتها في استوديوهات باريس مع ملحنها جاس برنال، وكانت داليدا الدجاجة التي تبيض ذهباً لبرونو ليلهط كل البيض.

استمع لوسيان موريس مدير إذاعة أوروبا ، إلى داليدا مع إيدي باركلي أشهر منتج إسطوانات في منتصف القرن العشرين. في حفل للمواهب الجديدة. أقامه برونو في أولمبيا. وكانت داليدا قبل أن تلتقى بلوسيان مجرد واحدة من مطربات الملاهى الليلية في باريس. فأنتج أول إسطوانة بصوتها بأغنية «الملاء الذهبية» ونجحت، وانتشرت واحتكرت المركز الأول في إذاعة أوروبا لفترة طويلة.

بعد أربع سنوات من الحب والعمل مع لوسيان موريس تزوجا. ولم يدم الزواج إلا ١٢٠ يوماً وانتحر العريس عام ١٩٧٠ في شقة الزوجية.

كان آلان ديلسون قد بدأ خطواته في السينما فأعطى داليدا فرصة الغناء في السينما الفرنسية من خلال فيلمه «القلب الخفاق» وغنت فيه «أنا حب» وانتشرت وذاعت شهرتها عبر كل فرنسا.

والرجل التالي في حياة داليدا كان يصغرها في العمر بسنوات قليلة اسمه لويدى تنجو، اشترك في مسابقة سان ريمو للأغنية الخفيفة، ولم يحصل على المركز الأول، فانتحر عام ١٩٦٧. وحاولت أن تلحق به في أول محاولاتها للانتحار فتناولت كمية من الحبوب المنومة، لكن الله أراد لها أن تعيش، وإن كانت قد أصيبت بمرض الاكتئاب، منتظرة نهايتها لتعود وتلتقى بحبيب القلب المنتحر. وكانت داليدا قد غنت باللغات الإيطالية والفرنسية والإنجليزية أغنية بعنوان «وجدت حبي في بروتوفينو» تحكى قصة مشابهة لقصتها مع لويدى تنجو، قبل أن يلتقيا، أثر تنجو في حياة داليدا فانشغلت بقصص العشق والرجال المحبين وبحب صناعى تلجأ إليه هرباً من القلق أو العمل العنيف الذى أغرقها فيه أخوها مدير أعمالها برونو في محاولة ليخرجها من الغم والكآبة.

خفتت الأضواء أكثر من مرة عن داليدا. واختفت تماما عدة مرات. أما الأسباب فكانت مختلفة ومتنوعة فلما أحبت رساما، على زوجها لوسيان موريس مدير إذاعة باريس الذى

اسحر عام ١٩٧٠ ايامها تخلى عنها الزوج المخدوع، فانزوت شهريها وخان الرأى العام  
الفرنسى متعاطفا معه وينظر إليها كخاتنة.

وبعد أن انتهت وقائع الحرب العالمية الثانية، احتاجت الجماهير إلى اغنية رومانسية  
ناعمة تتناغم فيها أصوات الجيتار الأسباني والماندولين وصوت ناعم رقيق كصوت داليدا،  
لكن بعد فترة وجيزة عمت أوروبا -كرد فعل لأحداث الحرب المنتهية- موجة من الغناء  
الراقص هي أغاني «الروك أند رول» وتحول الجيتار الأسباني إلى كهرباء. ولعل الصوت  
الكهربائى لآلة الأورج المطور، وتسيّد فن الإيقاعات العالمية فسى الغناء، وانزوى الغناء  
الرومانسى الناعم الذى تقدمه داليدا وظهرت قنبلة الغناء الإنجليزي الذى سيطر على  
العالم وهى فرقة «الخنافس أو البيتلز» التى قضت على الأمل الباقى للأصوات الرقيقة  
وأصبحت داليدا موضة قديمة وتتابع الألوّن المعادية للرومانسية مثل «التوست» و  
«الديسكو»...

كان على داليدا أن تختار إما أن تظل على لونها الناعم متمسكة به راضية بأن النصيب  
كده.. وإما أن تنسحب من مجال الغناء الذى أحبته وعشقت أضاءه منذ طفولتها فى شبرا  
مصر، وإما أن تتلوّن بلون الموضات الحديثة وللتعايش مع الموجات الجديدة..

اختارت الاتجاه الأخير وهو السير فى اتجاه الريح الغنائى، فتحوّلت إلى الاستعراض  
على الطريقة الأمريكية وأدخلت كثيرا من المفردات باللغة الإنجليزية أو الأمريكية فى  
أغانيها لتتماشى مع أغاني البيتلز وإمعانا فى لبس الثوب الفنى الأمريكى تحوّلت إلى  
كاوبوى فوضعت سكينها فى شرابها ومسدسا فى البنطلون المحرق وقد قاست وتحملت فى  
سبيل ذلك من تدريبات شاقة ودروس متخصصة.

يرى البعض أن داليدا عندما عادت للغتها العربية كانت مجبرة على ذلك ويؤكد أصحاب  
هذا الرأى أنها لم تكن تحب العرب ولا مصر ولا تنسى فشلها فى الحصول على فرصة  
لتكون منافسة لليلى مراد.

عادت داليدا لتغنى «سالمة يا سلامة.. رحنا وجينا بالسلامة» وأيامها رفع ورثة سيد  
درويش القضية رقم ١٥ فى سلسلة القضايا التى كان يرفعها محمد البحر سيد درویش  
على كل من تسوّل له نفسه أن يقترب من ألحان خالد الذكر والده، وقد اعتبرت جمعية  
المؤلفين، والملحنين فى القاهرة التى تعنى بشئون حق المؤلف والملحن المصرى أن اللحن هو

تحويل ملحنها للحن الشيخ سيد، وبناء عليه يقسم دخل إذاعة اللحن مناصفة بين الملحن وورثة سيد درويش.

نجحت «سالمة ياسلامة» بصوت داليدا ولهجتها الخواجاتي فكررت التجربة بأغنية «حلوة يابلدی» وقد كتب كلماتها ملحن مصري كان مقيما في باريس هو مروان سعادة.

أغرى نجاح داليدا في الغناء العربي أحد المنتجين المصريين في أن يقيم الحفلات في مصر فأرسل لها عام ١٩٨٠ خطابا يطلب توكيلا عاما لطبع أغانيها في بلادنا فطلبت أجرا عشرة آلاف دولار للشريط الواحد. ووافق واتفق على طبع كل أغنياتها الحديثة على ٨ شرائط كاسيت «لم تكن الاسطوانات المدمجة CD قد تم اختراعها بعد».

حققت أغاني داليدا نجاحا معقولا حيث باعت عام ١٩٨٠ ما يقرب من ٥٠ ألف شريط في السنة وهو رقم ليس كبيرا إذا قيس بأصوات ذلك الزمن ومنهم محمد فؤاد وحسن الأسمر وكان كل منهما يتبع أغانيه أربعة أضعاف هذا الرقم.

وأغنية سالمة يا سلامة. غنتها داليدا باللغة الفرنسية مرة ولاقت في الحالتين نجاحا لافتا. للحنها البسيط والجميل واستخدامها الموثيقة المصرية الشعبية أما كلماتها فتقول»

في الدنيا الكبيرة.. وبلادها الكثيرة  
لفيت .. لفيت .. لفيت  
ولمانادانسي حبيبي الأواني  
وفي حضنه اترميت وغنيت

□□□

سالمة يا سلامة.. روحنا وجينا بالسلامة

□□□

لسه الحب الصافي ولسه الجوالدافي

ولسه فيه قمر

وبعد المغارب نتلملم في قارب

ويطول السهر والسمر والغنا كلنا

□□□

سائلة يا سلامة ..رحنا وجينا بالسلامه

□□□

فين شجرة جوه جنينة عليها علامة

أنا ياما كنت بفكر فيها وبسأل ياما

ياترى موجودة وقلبي محبوس فيها

□□□

سائلة يا سلامة .. رحنا وجينا بالسلامه

واستمر غزل دايدا في بلدها الأصلى مصر فى أغنيتهما الثالثة باللغة العربية وهى «حلوة

يابلدى» التى تقول كلماتها :

كلمة حلوة وكلمتين .. حلوة يا بلدى

غنوة حلوة وغنوتين .. حلوة يا بلدى

أملى دايمما كان يا بلدى

.. إنى ارجعلك يا بلدى

على طول

ذكريات كل اللى فات .. فاكرة يا بلدى

قلبي مليان بحكايات .. فاكرة يا بلدى

أول حب كان ف بلدى

.. مش ممكن أنساه يا بلدى

فين أيام زمان .. قبل الوداع

كنا بنقول إن الفراق دا مستحيل

وكل دمعه على الخدين كانت بتسيل

مليانه بأمل إن احنا نبقى موجودين

ف بحر الحب على الشطين

وخلمه حلوه وكلمبوز.. حلوه يا بلدى

غنوة حلوة وغنوتنر حادة بارانى

□□□

فين حبيب القلب يا بلدى..

كان بعيد عنى يا بلدى

وكل ما نغنى بفكر فيه

قول يا حبيبى أنت ساينى ورايح فين

أجمل لحظة حنغنى إحنا الاثنين

يا محلا كلمة بلدى فى غنوة من سطرين

ياليل يا عين.. ياليل يا عين

وهذه أسماء بعض أغانيها التي حققت نجاحا ملحوظا فى الأسواق الفرنسية وأيضا

المصرية:

POUR TE DIRE JE TAIME

LA OU JE TAIME

UNE VIE D'HOMME

REVIENS MOI

C'ETAIT MONAMI

LA PENSIONE BIANCA

TOUTES CES HEURES LOIN DE TOI

MON ITAIE

SOLEIL

KALI MBA DE LUNA

□□□

أما أشهر أغانيها العربية فهي «أحسن ناس». وهي طويلة فى مدة تسجيلها وحجم الكلمات وهي سياحة شعبية فى بعض مدن مصر، وتحية لشعوب هذه المدن. وهي فكرة

أطفال أطربوا العالم —

تكررت قبل أغنية داليدا، وبعدها، إذ كتب الشاعر الكبير فؤاد حداد أغنية «الفلة ويا  
الياسمين» يستعرض فيها محافظات مصر ومدنها الكبرى وغناها محمد منير وغناها بعض  
المطربين الشعبيين مستعرضا مدن مصر والأحياء المشهورة فى بعضها، تحية منه للجمهور  
الحاضر فى الأفراح وتحفيظا لاستخراج . «النقطة» التحية الشعبية المعروفة.  
تقول كلمات أغنية احسن ناس:

أدينا بندردش .. وانا إيه  
بنحكى ونفرفش .. وانا إيه  
بنحب نتعرف .. وانا إيه  
بنحب نتشرف .. وانا إيه  
ومنين يا بلدينا .. وبلدكوا إيه  
أحسن ناس .. أحسن ناس

□□□

سوهاج بلد المواويل  
سوهاج بلد الزغاليل  
سوهاج يا حبيبي يا حبيبي  
سوهاج دى عروسة النيل  
سوهاج يابوى عالم شغال  
سوهاج يابوى يرخص له المال  
رجاله جد وحمل جبال  
يابلدينا .. بلدينا

□□□

ادينا بندردش .. وانا إيه  
بنحكى ونفرفش .. وانا إيه

□□□

على كوبرى بنها يا نور عيني  
منديل حبيبي طرف عيني

بعد الفراق والأشواق  
جمع الهوى بينه وبينى

□□□

يا إسماعيلية يا إسماعيلية  
أحب أزورك فى المغربية  
أركب فلوكة أنا وحبابى  
وأغنى غنوة ع السمسمية  
آه يالا لالى.. حبيبى يا لالى  
ياروحى يالالى

□□□

أدينا بندردش .. وانا إيه  
بنحكى ونفرفش .. وانا إيه

□□□

ع المحلة منين يا سمندى  
ع المحلة منين أرض جدوى  
ع المحلة منين آه ياشن ورن  
ع المحلة منين ياسمندى

□□□

إسكندرية احسن ناس  
ع البحر ماشية تتمخطر  
من سيدى بشر لأبوالعباس  
أيوه يا عالم ع المنظر  
أيوه يا عالم ع المينا  
وشوق بيتمرجح بينا  
وتلتميت ألف سفينة

ع البحر ماشية بتزمر  
يا نقرزان حى الجدعان  
حى العرايس والعيسان  
محروسة م الإنس وم الجان  
يا حلوة يا أم التوب لخضر  
داد

لا لا لا.. وأنا من شبرا  
فى مصر وولادها الطعمين  
زى القمر بعيون سمرا  
لابسين عقود فل وياسمين  
والنيل بيضحك ويغنى  
فاكرنى ويبسأل عنى  
أروح له ألقاه مستنى  
وجنب منه أحسن ناس  
أحسن ناس  
أحسن ناس  
أحسن ناس

أغنية مصرية خالصة ليس فى أسماء الأماكن أيضا فى مفرداتها «وأحسن ناس» عبارة مسخدمة فى الحياة اليومية كتحية عند التعارف فى مصر والزغاليل، و «الواويل» من الألفاظ المستعملة بكثرة عند المصريين وكذلك «يابوى»، «وحمل جبال» و «منديل حيببى» وأغانى السمسمية وعبارة «ياشن ورن» لا يعرفها غير أولاد البلد وأبو العباس، من ملامح الإسكندرية، و «النقرزان» آلة إيقاع شعبية مصرية الهوية .

أما الغناء لحنى شبرا فيعكس الحنين من داليدا للماضى والطفولة والمراهقة والنيل دائما فى انتظارها ومعه المصريون الذين هم أحسن ناس.

واللحن فيه بساطة البيئة الشعبية المصرية. فهو سرد نغمى بسيط، من مقام موسيقى واحد (دو الكبير) وإيقاع مصرى واحد هو «المقسوم» يتخلله بعض الجمل الزخرفية من

باب التلوين لاتخرج عن السياسة اللحنية للأغنية. ويلعب التصفيق الإلكتروني دورا فى تأكيد الإيقاع الشعبى.

واشتمل اللحن على جزء بسيط خرج فيه الملحن عن الطابع الشعبى عندما أعاد لحن جملة «على كوبرى بنها» بصوت الكورال، بجملة لحنية مختلفة عن سياق اللحن فى بساطته وشعبيته أما قفلة الأغنية فهى تكرر لحنى متصاعد لجملة «أحسن ناس» تعطى انطباعا بقفلة مسرحية.

فى عام ١٩٨٢ طلب أحد المنتجين من دايدا الغناء فى حفلات على مسارح القاهرة. وطلبت ١٥ ألف دولار عن الحفل الواحد، ووافق. وعادت لأول مرة بعد غياب دام أكثر من ربع قرن لتغنى، يرافقها جيش من العازفين والراقصين والمغنيين والعمال واللبيسة مع أخيها مدير أعمالها برونو، وسكرتيرها الخاص أنطوان؛ غنت فى نادى الجزيرة، وفندق شيراتون هليوبولس- بجوار مطار القاهرة وقد تغير اسمه. وعلى مسرح عبد الوهاب الصيفى بالإسكندرية.

فكررت بعد عام واحد رحلة دايدا الغنائية فى مصر ثم بعد ثلاثة أعوام وفى كل عام لم تكن إيرادات حفلاتها تفى بالمصروفات عليها وفى أجراها الكبير لكن الحفلات شجعتها على العودة للأغاني الشعبية المصرية. فسجلت من تأليف صلاح جاهين أغنية «حلوة يا بلدى».

ثم سجلت أغنية «جميل الصورة» ولحن الأغنية ملحنها الملاكى جاس برنال وهو مصرى الأصل شرب من النيل وعاش فى حوارى الغورية والكحكيين ثم هاجر إلى باريس بعد أن بلغ سن الرشد.

(وكان أحد الملحنين المصريين قد أعد لها دويتو مع المطرب محمد منير لكن المشروع لم ير النور).

قد تكون عودة دايدا إلى الحياة المصرية والثقافة والفن المصرى هو الذى شجع المخرج يوسف شاهين فى إسناد دور فلاحه مصرية للنجمة التى انغمست فى اللغة والثقافة والفن الفرنسى وأصبحت لهجتها المصرية خواجاتى. وقد يكون السبب هو إرضاء الجهة الفرنسية التى شاركته إنتاج الفيلم وهى فرنسا.

قامت بالدنا في عام ١٩٨٦ بنصوب فيلم «اليوم السادس» مع محسن محم، الدين وحمدى أحمد وسوبنار وصالح السعدني وعبله كامل وسناء يونس ومحمد مبير وعهدى صادق، الفيلم عن قصة لاندريه سنديد وموسيقى عمر خيرت إخراج يوسف شاهين.

قصة الفيلم تدور حول وباء الكوليرا الذي انتشر عام ١٩٤٧ في القاهرة وبعض المدن المصرية، ليلقى كل المصابين مصرعهم بعد ستة أيام من بدء إصابتهم بالمرض. يصاب حفيد الفلاحة «صديقة» التي تجسد شخصيتها داليدا بالمرض فتهرب به إلى مدينة رشيد وتحاول علاجه بنفسها ثم تسافر إلى القاهرة لتشارك في دفن بعض الذين ماتوا من المرض نفسه من أهلها فلما تعود تعرف أن حفيدها أصابته انتكاسة بعد علمه بإصابة أستاذه في المدرسة، وكان يعتبره القدوة وعلى مركب العودة يتعاطف «عوكا القرداتي» مع صديقه ويتحول عطفه إلى حب رغم فارق السن، تتركب معه للذهاب إلى البحر الأبيض المتوسط عند فرع رشيد النيل، وعند شروق شمس اليوم السادس يموت حفيد صديقة فتنهار.

إنها قصة مأسوية لون زوزو نبيل أو أمينة رزق، أو حتى سميرة أحمد، أما داليدا التي أسند إليها المخرج بطولة الفيلم فما كان أحوجها إلى فيلم يعرض أحداثا يمكن أن تكون غنائية أو رومانسية حتى يصدقها المشاهد العربي أو الفرنسي لكن ما يحسب لها أنها قامت في الفيلم بدور جده ثم إنها لم تستخدم المكياج يرى أصحاب الرأي القائل بأن داليدا لا تحب بلد الميلاد والنشأة «مصر»، وأن ظهورها في فيلم في دور فلاحة مصرية تأكل السريس والجعضيض ويموت حفيدها من الحمى هي محاولة يائسة من جانبها لإغراء الأضواء لكيلا تخبو أو تذببل أو تبهت أو تنزوى. ويؤكدون أن أغنية داليدا التي تقول في بعض كلماتها «نفسى أموت وأنا أغنى على المسرح أمام كشافات الإضاءة، وفي مواجهة الجماهير» كانت رغبة حقيقية عندها وماتت داليدا ٥٤ سنة عمرا، وقد تكررت محاولتها الطبية من أجل الإنجاب لكنها فشلت ولما تواری أملها في أن تكون أما ركزت في الاهتمام بالحياة السياسية الفرنسية تبنت الحزب الاشتراكي الفرنسي الكبير ووقفت في عام ١٩٨١ وراء فرانسو ميتران تدعوا له في المجتمعات وتقيم الحفلات للدعاية الانتخابية له ولكنها لاقت إهمالاً بعد نجاحه.

وكما كانت داليدا صديقة لميتران وكانت تربطها علاقة طيبة برئيس الوزراء جاك شيراك وكان عمدة لباريس، ثم رئيسا للجمهورية الفرنسية وقد رثاها بقوله «حزنت كثيرا من أجل

داليدا، لقد كانت سيدة كبيرة فى الغناء الفرنسى . واستطاعت بكل نزاهة وحرارة أن تلمس قلوب الفرنسيين».

أما فرانسو ليونارد وكان وزيراً لثقافة فرنسا فى السنة التى انتحرت فيها قال «موت داليدا المفاجئ أحنزنا جميعاً. لقد كانت عبر مشوارها الطويل، تغزو قلوبنا. وتترجم ما نحسه حتى أصبحت صديقة لنا»

وقال عنها جاك رانج وكان وزيراً لثقافة فرنسا قبل فرانسو ليونارد: داليدا كانت سيدة عظيمة وصادقة فى كل ما تغنى

ولست مع الرأى القائل بأن داليدا لم تكن تحب مصر، وتحقد عليها بعد أن فشلت فى الحصول على فرصة من أضوائها. فقد كانت تعتز بمصريتها. وأحبها الفرنسيون لفنها ولأصلها فأطلقوا عليها ألقاباً كثيرة. منها «سيدة النيل» و «سيدة الأهرامات» و «كليوباترا العصر الحديث».

وعبرت داليدا عن سعادتها عندما عرض عليها يوسف شاهين بطولة «اليوم السادس» وقالت فى لقاء تلفزيونى للفرنسى فريدريك ميتران: «إننى أعتبر هذه البطولة التى أسندها لى يوسف شاهين بمثابة الهدية العزيزة، فمصر مازالت بداخلى. لأننى عشت فيها سنوات طفولتى ومراهقتى»

وردا على سؤال جمهورها فى مصر قالت:

«الجمهور المصرى أكثر حرارة من الجمهور الفرنسى فهو يشترك مع المعنى فى أداء الأغنية. إننى أشعر بمودة صادقة لهذا الجمهور الذى يحبنى. ويسعدنى كثيراً بتعلقه بى عندما أزور مصر من وقت إلى آخر».

وفى حديث لإحدى الصحف الفرنسية قالت داليدا:

«لعل ما يؤثر فى نفسى هو احتفاء المصريين بى. فأنت تجد كل إنسان يلقي عليك التحية حتى دون أن يعرفك أو تربطك به صلة. على العكس ما يحدث فى فرنسا والغرب عموماً، فالجار لا يكاد يدرى من أمر جاره شيئاً»

من الصعب أن نحصر تراث داليدا فى الغناء، لكنه بالتقريب يتكون من ٤٠٠ أغنية باللغة الفرنسية و ٢٠٠ أغنية باللغة الإيطالية ومثلها بلغات مختلفة منها الألمانية والأسبانية

أطفال أطربوا العالم —

واليابانية والعربية ويبيع من أغانيها ٨٥ مليون أسطوانة وقد تم ترجمة هذا النجاح إلى تقدير عالمي تمثل في جوائز كثيرة حصلت عليها داليدا منها:

○ جائزة الأوسكار العالمي للإسطوانة عام ١٩٧٤ فقد اعتبرت خمس دول أن أغنياتها، «جيجي لوبروزو» هي الأغنية الأولى في ذلك العام. كما اعتبرت ثلاث دول أن أغنياتها «بلغت ١٨ سنة» هي الأغنية الأولى للعام نفسه لذلك استحوذت الجائزة للإسطوانة البلاتينية لشركة لوكس للتسجيلات عام ١٩٧٥ وذلك لتحقيقها أعلى المبيعات في أسطوانة «جيجي لامبروزو» وقد ضربت الرقم القياسي الذي سبق أن حققت مبيعات الأغنية العالمية «غريب ف الليل» للنجم الأمريكي العالمي فرانك سيناترا.

○ جائزة أكاديمية الأسطوانة بفرنسا عام ١٩٧٥ عن أغنياتها «بلغت ١٨ سنة» غنت داليدا مع إيف منتان عام ١٩٥٨ على مسرح ميوزيك هول فحصلت على جائزة «برافو» وهي جائزة كبيرة جدا في فرنسا.

○ جائزة الأوسكار خمس مرات من إذاعة مونت كارلو

○ الأوسكار العالمي للإسطوانة عام ١٩٦٣.

○ هي النجمة الوحيدة التي حصلت على الإسطوانة البلاتينية عام ١٩٦٤ بعد أن تعدت مبيعاتها في تلك السنة الـ ١٠ مليون أسطوانة.

○ جوائز عديدة من إذاعة لوكسمبرج آخرها في أكتوبر ١٩٧٠.

○ ميداليه مدينة باريس ١٩٦٨.

○ أوسكار النصر للأغنية عام ١٩٧٣.

○ ٢٠ ميدالية من دول مختلفة.

○ ٥٢ أسطوانة ذهبية.

○ جائزة الصليب القرمزي من دار المثقفين في فرنسا ١٩٦٨.

○ ميدالية ذهبية من الرئيس الفرنسي شارل ديغول ١٩٦٨.

○ أقامت فرنسا لها تمثالا لتصبح ثالث سيدة في تاريخ فرنسا بعد جان دارك. وساره برنار تحظى بهذا التكريم.

○ كرمها الرئيس الفرنسي بإعطائها لقب . de la Republique (ميدالية رئاسة الجمهورية الفرنسية).

أطلقت بلديه باريس اسمها على احد الشوارع في الحي الذي كانت تسمى فيه وطبع  
صورها على طابع بريد هناك.

□□□

ماتت داليدا ، ام كلثوم باريس ، بنت شارع خماروية بشبرا منتحرة يوم ٣ مايو ١٩٧٨  
فرغم النجاح الكبير الذى حققته عالميا الحلوة بنت بلدى ، إلا إنه لم يحمها من الاكتئاب ..  
انتحرت ، الجميلة ، الشهيرة ، فإذا أردت أن تعرف السبب .. فتش عن الرجل!

□□□